

## الطبيعة الحزينة في شعر إدريس جماع

إعداد/ د. ندى بكري مساعد الزبير

كلية العلوم والآداب بمحايل عسير

جامعة الملك خالد

Email: [Omyahyaalsalami@gmail.com](mailto:Omyahyaalsalami@gmail.com)

## مستخلص

### الطبيعة الحزينة في شعر إدريس جماع

هذه دراسة موجزة عن تجسيد الحزن بواسطة مظاهر الطبيعة في شعر إدريس محمد جماع، وهو شاعر عاش تحت وطأة الحزن واليأس، فجسد مأساته في شتى الصور الشعرية.

تتبع الدراسة المنهج التحليلي والمنهج الحديث في النقد، فتتلمس رمزية الطبيعة للحزن في شعر إدريس جماع، اعتماداً على ديوانه (لحظات باقية). وتتناول الموضوع في ثلاثة محاور كل محور يقوم على تبين مظاهر الطبيعة من جانب، فالمحور الأول تحدث عن مظاهر الطبيعة التي عبر بها عن الحزن، والمحور الثاني عن التصوير الفني لتلك المظاهر، والمحور الثالث عن رمزية الطبيعة للحزن في شعر جماع، وهو المحور الذي يحلل الأبيات التي ذكر فيها جماع الطبيعة وقد ألبسها ثوباً حزيناً نسجه من حالته النفسية التي ظلت تسيطر عليه.

اختتمت الدراسة بتلخيص المفيد والنتائج:

- الطبيعة من أكثر المؤثرات الفنية في نفسية الشعراء قديماً وحديثاً، وانعكس أثرها في شعرهم جميعاً خاصة عند تشابه أحوالهم.
- أثرت المذاهب الأدبية الحديثة في الشعراء المحدثين، فجاءت رمزية الطبيعة عندهم أعمق منها عند القدماء.
- تصوير الطبيعة الحزينة عند جماع كان موافقاً لما في نفسه وأنه قد أطلق العنان لخياله ليعمق الصورة والرمز.

**Abstract:**

**Sad nature in the poetry of Driss intercourse**

**This is a brief study of the embodiment of grief by the manifestations of nature in the poetry of Driss Mohamed Gamaa, a poet who lived under the weight of sadness and despair, and embodied his tragedy in various poetic images.**

**The study follows the analytical and modern methods of criticism, and it touches the symbolism of nature for grief in the poetry of Idris Gama'a, depending on his diwan (lingering moments). The first topic talked about the manifestations of nature in which he expressed sadness, the second axis on the artistic depiction of those manifestations, and the third axis on the symbolism of nature in grief in sexual intercourse, an axis that analyzes verses. In which he mentioned the sexual intercourse and wore a sad dress woven from his psychological state, which remained controlled.**

**The study concluded with a useful summary.**

- Nature of the most influential artistic psyche in the poets of old and new, and reflected in their poetry, especially when the similarity of their conditions.**
- Modern literary doctrines influenced modern poets, and the symbolism of nature came deeper than the ancients.**
- depicting the sad nature of intercourse was in accordance with what is in himself and that he has unleashed his imagination to deepen the image and symbol.**

### المقدمة

الشاعر إدريس جماع حالة من الحزن والأسى، وقد بث هذا الانفعال في شعره حتى وصفه محبوبه بـ"قيثارة الحزن الأبدي"، فقد عبر عن عاطفته كما يعبر الشعراء في كثير من الأحيان بالتصوير والتجسيد، وهو الترميز الذي يعمقون به معاني شعرهم.

#### هدف البحث:

هدفت الدراسة إلى توضيح انعكاس حالة الشاعر الوجدانية في رؤيته للأشياء من حوله متخذاً من مظاهر الطبيعة رمزا للتعبير عنها.

#### أهمية البحث:

تكمن أهمية في أهمية الشاعر نفسه أنه لم يحظ بدراسات وافية وحالة الأسى التي لازمته وميزت على غيره من الشعراء الذين عاصروه.

#### منهج البحث:

انتهجت الدراسة المنهج التحليلي والمنهج الحديث في النقد، متلمسة رمزية الطبيعة للحزن في شعر إدريس جماع، اعتماداً على ديوانه (لحظات باقية) وتناولت الموضوع في ثلاثة محاور:

#### خطة البحث:

تناولت الدراسة الموضوع في ثلاثة محاور:

المحور الأول: تتناول أهم مظاهر الطبيعة التي اتخذها إدريس جماع رموزاً لليأس من الحياة وللحزن والذهول اللذين كانا من أبرز سمات شعره، وقد لجأ في كثير من صورته الشعرية إلى الطبيعة.

المحور الثاني: التصوير الفني لمظاهر الطبيعة، وانعكاس حالة الشاعر النفسية وانفعاله العاطفي على الطبيعة، وتجسيد ذلك الانفعال الكامن في صور مرئية كالماء والطير وغيرها من المظاهر الطبيعية، اعتماداً على آراء النقاد القدامى والمحدثين في نقد الشعر واختياره.

المحور الثالث: رمزية الطبيعة للحزن عند جماع وهو المحور الذي يحلل الأبيات التي ذكر فيها جماع الطبيعة، وألبسها ثوباً حزيناً نسجه من حالته النفسية التي ظلت تسيطر عليه. ولا بد هنا من الإشارة إلى المذهب النفسي في تحليل الشعر، بناء على المذاهب الحديثة في النقد الأدبي.

ثم اختتمت الدراسة بتلخيص المفيد وبينت أن الطبيعة من أكثر المؤثرات الفنية في نفسية الشعراء قديماً وحديثاً، وأن المذاهب الأدبية الحديثة أثرت في الشعراء المحدثين، فجاءت رمزية الطبيعة عندهم أعمق منها عند القدماء. كما أن صور الطبيعة في شعر جماع وافقت ما في نفسه من حزن وأسى، فأطلق العنان لخياله ليعمق الصورة والرمز.

## المحور الأول

### تصنيف مظاهر الطبيعة الحزينة في شعر جماع

الطبيعة مظاهر عامة في أعين الناس، لكن لها وقع خاص في أنفاس الشعراء، خاصة الذين يذهبون في شعرهم مذاهب رمزية عميقة يعبرون فيها بالطبيعة عما يدور في أنفسهم من خواطر. ويختلف التعبير من حالة إلى حالة، وفي هذا المحور ننظر في كيفية تعبير جماع عن حالة الحزن بوصف المظاهر الطبيعية المعتادة عند الناس جميعاً.

لم تكن الطبيعة في الشعر العربي منحصرة في التعبير عن الحزن، بل إن هناك بعض الآراء ترى أن الطبيعة هي منشأ الشعر والإبداع، وهذا الرأي يدرس حالة الشاعر العربي القديم، وهو لا يختلف عن الشاعر الحديث كثيراً في التأثر بالطبيعة، والطبيعية بصورها المتباينة تؤثر في نفس الشاعر بعد رؤيتها باختلاف البيئات والصور، فعناصر الطبيعة من شجر وماء وطير هي التي أوحى للشاعر الشعر، وأصوات الطبيعة تختلف من موضع إلى موضع، ومن حالة إلى حالة، فمنها الطبيعة الفرحة ومنها الطبيعة الحزينة التي نحن بصدد الحديث عنها، فبعض أصوات الطبيعة تمثل الموسيقى والغناء والطرب، وبعضها يمثل البكاء والنواح، وفي ذلك يدخل الأثر النفسي، حيث تكون حالة الشاعر هي التي تشكل الأثر الذي تبعته الطبيعة في الشاعر، (وما كان العربي في مبدأ عهده ينظم الشعر ولا يعرف ما قوافيه وأعاريضه، وما علله وزحافات، ولكنه سمع أصوات النواجر وحفيف أوراق الأشجار وخريف الماء وبكاء الحمام، فلذ له صوت تلك الطبيعة المترنمة، ولذ له أن يبكي لبكائها، وينشج لنشجها، وأن يكون صداها الحاكي لرناتها ونغماتها، فإذا هو ينظم الشعر من حيث لا يفهم منه إلا أنه ذلك الخيال الساري المتمثل في قريحته المتردد بين شذقيه، ولا من أوزانه وضروبه إلا أنها صورة من صور، ولون من ألوانه).<sup>1</sup>

إذا أمعنا نظرنا في تأثير الطبيعة في شعر جماع، وهو التأثير العام لتلك المشاهد الطبيعية، نجد أنه يشير إلى أثر تلك الطبيعة ولجؤه إليها لجوءاً نفسياً، فهو ينصرف عن مظاهر الحياة البشرية التي حوله. وهنا تتجسد الحالة الشعورية التي تنتاب الشاعر - ويتجرد من النظرة المعتادة للطبيعة؛ وهي النظرة التي تكون عند أي شخص لا يعير الطبيعة اهتماماً سوى النظرة الجمالية التي يألفها البشر في المناظر الطبيعية الخلابة، ويشير جماع إلى ذلك اللجوء بذكر كلمة النفس، فهو لم يذكر العين التي ترى، بل غاص عميقاً في النفس، وإحساس النفس بالطبيعة عميق غير إحساس العين التي يبصر بها الشاعر وغيره من البشر ونجد ذلك في قوله:

<sup>1</sup> - النظرات، المنفلوطي، ج2، ص 191

عندما تصدأ نفسي أجتلي وجه الطبيعة

أقبس الفن وأبغي نشوةً منها ربيعة

لحنها لحنى من الفجر وأحضاناً مريعة<sup>٢</sup>

يشير جماع هنا إلى الألحان التي يقتبسها من الطبيعة.

وفي مواضع أخرى من أشعار جماع نجده يقتبس من الطبيعة الحزن والبكاء بطريقة شاعرية، وهذا هو الإحساس العام عند الشعراء في جميع الأماكن والعصور، وهو ما يوافق الأدب العالمي واتجاهاته الحديثة، وهناك إشارات كثيرة من النقاد في الأدب الحديث إلى الحزن الذي تجسده صور الطبيعة في نفس الشاعر، ليست هناك أبيات ذات جمال حزين كهذين البيتين لبيرنز:

القمر الشاحب يغرب خلف الموجة البيضاء

والزمان يغرب بي وا لهفتاه!

فهذان البيتان رمزيان تماماً. انتزع منهما شحوب القمر وبياض الموجة - وعلاقة هذين بغروب الزمان دقيقة يعز على الفكر إدراكها - فإذا بك تنزع منهما جمالها؛ ولكن إذا اجتمعت هذه العناصر كلها معاً: القمر والموجة والشحوب والبياض وغروب الزمان والصيحة الحزينة الأخيرة " وا لهفتاه " فإنها تثير عاطفة يعجز عن أن يثيرها أي نظام آخر من الألوان والأصوات والأشكال).<sup>٣</sup>

مما يظهر في شعر جماع من صور الطبيعة الحزينة الصورة التي رسمها في مطلع قصيدة (مأسي الحرب) فقد نقل فيها مناظر طبيعية، ويظهر في الأبيات التناقض بين مشهد طبيعي متفق على جماله وبين حالة اجتماعية كارثية هي الحرب:

جاء عهد الربيع يحدوه آذارُ فأحيا ميناً وكفنَ حياً

في حياض الدماء ينغمس الزهر وينمو الريحان بضاً ذكياً

ومزاج الندى رشاش الدم القاني انطوى فوقه البنفسج طياً<sup>٤</sup>

<sup>٢</sup> - لحظات باقية، دار الفكر، الخرطوم، ط4، 1989م، ص، 16

<sup>٣</sup> - النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي ادغار هايمن، ترجمة/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1958م، (2/ 97)

<sup>٤</sup> - لحظات باقية، ص 91

يظهر في هذه الأبيات أن جمال الربيع لم يعجب الشاعر، لأنه اقترن بمآسي الحرب والموت، لذلك انصرف الشاعر عن الفرح بمنظر الأزهار والورود التي ظهرت في الربيع، فجعل صور الربيع الذي وقعت فيه الحرب أكفاناً ودماءً وموتاً، ويظهر التناقض بين منظر الربيع الجميل والإحساس البشري الآسي في قوله:

فأحيا ميّتاً وكفنَ حيّاً

وهي صورة التناقض بين حالتي الموت والحياة، وبين فرحة الربيع وحزن الشاعر على الدماء التي سفكتها آلة الحرب.

في موضع آخر من شعره يبيث جماع كثيراً من آثار الطبيعة في نفسه الشاعرة، فيمزج الحزن بالفرح في انفعال نفسي واضح، وتفاعل مع صور الطبيعة المعتادة، حيث جعل عواطف الفرح والحزن كلها مستمدة من المناظر الطبيعية ورمزيتها في نفس الشاعر، وهو يجعل أصوات الطبيعة المرئية وأصواتها المسموعة باعثاً لكل عاطفة إنسانية تنتاب الشاعر:

تذهبُ الساعات من عمريّ قربانا لفني

أُتبعُ الموجةَ طرفي ولها أرهفُ أُندي

ولقد أسبُحُ في النعمةِ من كونٍ لكونٍ °

هل سألتَ الزنبقَ الفواحَ عن سر العبير

مثله أرسلُ شعري إنه فيضُ شعوري

إنه آهاتُ أحزاني وأنغام سروري

إنه أنفاس روعي واختلاجات ضميري<sup>6</sup>

ظاهرة استمداد الشعور الإنساني من الطبيعة ظاهرة قديمة في الأدب العربي، وإن كانت النفس البشرية تنتقل من عصر إلى عصر إلا أن الشعراء يتشابهون في التأثر بالطبيعة، ولأن الأرض تتشابه في كثير من مناظرها الطبيعية فقد تجد تشابها بين جماع وبعض القدماء في الشعر العربي، وقد تكون الظاهرة عامة قديماً وهناك إشارة إلى ذلك الأثر في الشعر القديم، (فما كان ابن الرومي يعتمد في شعره على الثقافة الحديثة وخاصة المنطق، كان يعتمد على فن مهم هو فن التصوير، إذ كانت لديه قدرة غريبة على ملاحظة دقائق الأشياء وتصويرها تصويراً بارعاً، واستعان في ذلك بأداتين وجدتهما عند أبي تمام وهما: التشخيص والتجسيم.

<sup>5</sup> - ديوان لحظات باقية، ص 17

<sup>6</sup> - لحظات باقية، ص 17

أما التشخيص فقد استخدمه استخدامًا واسعًا في شعر الطبيعة؛ إذ كان يحس -كما يقول العقاد- بأن الطبيعة ذاتٌ ناطقة وأشخاص متحركة فهو يعيش مع كل نسمة فيها وكل حركة وكل خفقة وكل همسة<sup>٧</sup>. ورأي شوقي ضيف في هذا الباب دليل على أثر الطبيعة في النفس البشرية عامة في جميع العصور، وإن كان هنا قد خصص أثرها على النفس الشاعرة، بالإشارة إلى الشاعر العباسي ابن الرومي.

أما في الأدب الحديث فقد ظهرت مذاهب نقدية وأدبية توافق التطور العصري، فهناك المدرسة الرومانسية التي جعلت الطبيعة مصدرًا لكثير من أحاسيس الشعراء والتعبير عنها، وهو المذهب الذي يمكن أن نتبعه في الحكم على رمزية الطبيعة للحن في شعر جماع، وهو موضوع دراستنا هذه، وقد أشار كثير من النقاد المحدثين إلى رمزية الطبيعة إلى الحزن في الشعر الرومانسي، وهم يجعلون إحساس الشاعر هو أساس التعبير عن الحزن بمشهد طبيعي، ويغلب على الرومانسيين الحزن والتأمل، وهو ما يوافق نفسية جماع المذهولة، (ولا شك أن لرهف الحس وشيوب العاطفة عند الرومانتيكيين أثرًا عظيمًا في هيامهم بالطبيعة في جميع مظاهرها. فهم يريدون أن يسلمتهموها ويستوحوها أسرارها، وأن يكون أديهم صدى للشعور الصادق بما يتجلى لإحساسهم من مناظرها. وكانوا يدعون إلى تقليد الطبيعة واستيحائها)<sup>٨</sup>.

يقول جماع:

وفي لجج الأثير يذوب صوتي كساكب قطرة في لجج بحر

دجا ليلي وأيامي فصولٌ تُولف نظمها مأساة عمري<sup>٩</sup>

<sup>7</sup> - الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف (ص: 207)

<sup>8</sup> - الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة

1995، ص 154

<sup>9</sup> - لحظات باقية، ص 86



## المحور الثاني

### التصوير الفني لمظاهر الطبيعة

في هذا المحور تتضح شخصية الشاعر في بث أثر الطبيعة في شعره، وهنا نعني الطبيعة الحزينة التي صورها جماع تصويراً يعبر عما في نفسه من حزن، والتصوير الذي نقصده في الشعر هو ما تبعته العاطفة، (والعاطفة القوية هي التي تلهب التصوير، وتسري حرارتها في الصورة الأدبية وتبعث في النظم قوة التأثير، أليس من الحق بعد وضوح معالمها وتحديد مفهومها حديثاً أن تقرر التشابه بين الحديث عنها عند بشر وفي العصر الحديث؟ ألم يكن بينهما توافق كبير؟ فحديث العاطفة في الصورة اليوم هو نفسه حديث أبي سهل عنها منذ اثني عشر قرناً من الزمان؟ أظن أنه لا فرق في الجوهر واللب، وإن كان هناك فرق بينهما في التصريح بالعاطفة وعدمه).<sup>10</sup>

هذه العاطفة التي تبعث الصورة الشعرية في النفس تجسدت في كثير من المواضع الحزينة التي عبر عنها بمنابر الطبيعة، فعبّر بصورة الموج عن اختلاج نفسه والقلق والخوف ويظهر التعبير بالموج في قصيدته الحزينة (صوت من وراء القضبان)، التي جعل فيها حياته بجرماً متلاطمًا مخيفاً يقول:

ليالي أمواجٍ تمرُّ فإن دنثُ من الشطِّ لاشتْ مدّها أهةً حرى

ذوى خاطري حتى روى النفس وانقضتْ مباحج أيامي فأحدثها قبراً<sup>11</sup>

صورة الموج ودلالاتها على القلق والاضطراب النفسي كثيرة في شعر جماع، لأن الموج مرئي ومسموع، وحركته تثير في نفس الشاعر كثيراً من الأحاسيس الحزينة (كان للموج حضور قوي عند شاعرنا - يعني جماعاً- ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا إن صورته تكاد تدس أنفها في كل أفق من آفاق تجربته الشعرية، وأكبر الظن أنه رأى فيها صورة حية أو نموذجاً فذاً لتقلبات الحياة صعوداً وهبوطاً، رفعةً وانحطاطاً، امتداداً وانحساراً، إذاً من الطبيعي بعد ذلك كله أن تحمل صورة الموج دلالات ومعانٍ تتجاوز الصورة الساذجة لها، أعني الراسخة في ذهن كل متخيّل بوصفها أحد معطيات الطبيعة . فالموج يرمز للظلم والتجبر...)<sup>12</sup>

وفي موضع آخر يبيث جماع صورة الصيف ويصور دلالتها على العذاب والحزن، وصورة السراب الملازم للصيف وهو دليل اليأس وضعف الأمل،

<sup>10</sup> - الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، (ص: 16)

<sup>11</sup> - لحظات باقية، ص 82

<sup>12</sup> - الصورة في شعر إدريس جماع، (أنواعها، أدواتها، مصادر ها)، محمد محبوب محمد عبد المجيد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد3، يناير 2011م، ص 456

ويصور اليأس أيضا باللون الأصفر الذي رآه في الصيف وهي صورة متخيلة من الشاعر، وربما أراد باللون الأصفر ذلك الضعف المصاحب للمرض وتغير لون المريض :

نشر الصيف في الأثير جناحاً يصفع الوجه من لظى لفحاته

وجرى في الوهاد موج سرابٍ وعلى المرج صفرةٌ في حياته

حشد الناس في الظلال عطاشاً وأطار السحاب من وكناته

لم يعد في الحياة ما يبهج النفس فكف النوار عن بسماته<sup>13</sup>

وفي قصيدة أخرى ينصرف جماع عن الطبيعة وينفر عنها، لأن كثيراً من رموزها المألوفة لا تمثل عنده أهمية، فهو يحس بها بغير إحساس الآخرين، والتصوير هنا مخالفة للمعتاد عند الناس عامة والشعراء خاصة، فعين جماع لا تمتد لذرى الجبال التي يتأملها الناس، ويتخذونها رمزاً للرفعة، بل يشيح عنها ببصره، بسبب حالته النفسية :

أيها الضارب من خلف الغيوم أيها الشاحب من طول سراك

يا جبلاً زاحمت مسرى النجوم سوف لا يمتد طرفي لذراك<sup>14</sup>

لكنه في موضع آخر من شعره ينظر لذرى الجبال نظرة تقليدية معنادة عند الشعراء، برمزية الجبال للرفعة، فهي المنظر الطبيعي الذي يعجز الإنسان عن بلوغ قمته في كثير من الأحيان، وقد نظر جماع إليها تلك النظرة التقليدية بما يقتضيه مقام الشعر، حيث جاء ذلك في إحدى قصائده الوطنية وهي التي مطلعها :

أمة للمجد والمجد لها وثبت تنشد مستقبلها

والبيت المقصود هو قوله :

أيها الحادي انطلق واصعد بنا وتخير في الذرى أطولها

والفرق بين الحالتين أن جماع أراد بالذرى هنا الفخر، بينما عبر بها عن الحزن في الأبيات السابقة.

خروج جماع عن تقليدية النظرة إلى الجبال هو ما يشبه الرومانسية في الشعر العربي الحديث ويناسب مذهب الرومانسيين شعراً ونقداً، ومخالفة الرومانسيين للتقليد مما أشار إليه محمد غنيمي هلال : (وليست فصول السنة سواء عند الرومانتيكيين، بل يفضلون بعضها على بعض . فمن بين فصول السنة يفضلون الخريف، لأنه يتفق ونفوسهم الآسية، وهم لا يتغنون بثمراته ومنتجاته في الحقول،

13 - لحظات باقية، ص 97

14 - المرجع السابق نفسه ص99.

كما كان يفعل الكلاسيكيون أحياناً، ولكنهم يتغنون به لأنه فصل الضباب والجليد، وفيه تتجرد الغصون من أوراقها وتعصف الريح بالأوراق الجافة، ويقف نبض الحياة في الأشجار، وهذه المناظر توحى بالذبول والتحلل والفناء، وتتجاوب مشاعر الطبيعة الحزينة آنذاك مع مشاعر الرومانتيكيين).<sup>15</sup>

ويكرر جماع النظرة المخالفة للتقليد الأدبي في النظر إلى مناظر الطبيعة، حيث ينفر من جمال الصباح ولا يرى فيه فرحا ولا سعادة بقوله:

يا صباحا يغمر الليل البهيم سوف لا يملأ عينيَّ سناك<sup>16</sup>

---

15 - الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، ص 56  
16 - لحظات باقية، ص 106

### المحور الثالث

#### رمزية الطبيعة للحزن

على الرغم من حداثة مذهب الرمزية وسعي الشعراء إلى تعميقه في العصر الحديث، إلا أن بعض النقاد أشار إلى وجود الرمزية في الشعر القديم، فبعض الشعر القديم (يتجاوز الوقوف على الأطلال إلى وصف مشاهد في الطبيعة شأنها أن تحرك وجدان العربي وتثير خياله، كالبرق والسيل والمطر فهو في الأغلب يرصدها من بعيد، متخذاً من البعد المكاني ذريعة للبعد النفسي حتى لا يصرح بشعوره).<sup>17</sup>

ورمزية الطبيعة للحزن قد تتجلى أحياناً في غير الشعر، كالنثر الأدبي الذي يقوم على الخيال والعاطفة كالشعر، فكثير من الأدباء يجعل الغمام والمطر دموعاً، كقول المنفلوطي: (إن السماء تبكي بدموع الغمام، ويخفق قلبها بلمعان البرق وتصرخ بهدير الرعد، وإن الأرض تئن بحفيف الريح وتضج بأموج البحر، وما بكاء السماء وأنين الأرض إلا رحمة بالإنسان، ونحن أبناء الطبيعة فلنجارها في بكاؤها وحنينها).<sup>18</sup>

ذهب جماع في رمزية الطبيعة للحزن والأسى مذهبا عميقاً، فقد جعل الأسى سمة ملازمة للشاعر باعتبارها سمة إنسانية فطر عليها الإنسان بطبيعته، فهي ممزوجة بالطين الذي خلق الله منه الإنسان، ثم نقل صوراً أخرى من الطبيعة كالرياح والرياح وجعلها كلها مما يثير الشجن في النفس:

خُلِقَتْ طينة الأسى وغشتها نار وجد فأصبحت صلصالا

ثم صاح القضاء كوني فكانت طينة البؤس شاعراً مثلاً

يتغنى مع الرياح إذا غنت فيشجي خميله والتلالا

صاغ من كل روضة منبراً يسكب في سمعه الشجون الطوالا<sup>19</sup>

وفي بعض المواضع يمزج جماع صورة الطبيعة الحية الباعثة للفرح بالحزن والآهات والأشجان، والحرمان، مثل تصوير النيل عند وصوله الخرطوم، وهي الصورة التي تغنى بها كثير من الشعراء، لكن إدريس جماع يرى مع هذا الغناء حزناً عميقاً رمزياً صوت أمواج النيل واضطرابها على الشطين:

والنيل مندفع كاللحن أرسله من المزامير إحساساً ووجداناً

17 - مؤسسة جائزة سعود البابطين للإبداع الشعري، الدورة الثالثة، دورة البارودي، 12-14 ديسمبر 1992م، مقالات، ص 294

18 - النظرات، مصطفى لطفى المنفلوطي، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1982م (1/ 100)

19 - لحظات باقية، ص 117

حتى إذا أبصرَ الخرطومَ موقنةً وخالجتَهُ اهتزازاتٌ وأشجانُ

وردد الموجُ في الشطينِ أغنيةً فيها اصطفاقٌ وآهاتٌ وجرمانُ<sup>٢٠</sup>

لم يخرج تعبير جماع عن الحزن بماء النيل وموجه عن مدرسة الرومانسية الحديثة التي يلجأ شعراؤها إلى الطبيعة ومناظرها للتعبير عن الحزن وغيره من أحاسيسهم (فالطبيعة معين الرومانسيين الذي لا ينضب، فهم ينشدون السلوان فيها، ويبثونها أحزانهم، وينظرون بين أحاسيسهم ومظاهرها.... ويخاطبون الأشجار والأزهار والأنهار، والنجوم، وأمواج البحر).<sup>٢١</sup>

عبر جماع عن حزنه وأشجانه بالماء واضطراب الموج والسييل، ورمز بها إلى نفسه، والرمزية الحزينة هنا تشير إلى الشاعرية ومبعث الفن في نفس الشاعر، ويمثل اندفاع السيل من مكان عالٍ إلى مكان منخفض صورة طبيعية ترمز إلى نفسية جماع المضطربة الآسية، ولذلك يجعل من نفسه سيلاً وماءً جارياً :

وإذا ما زحمت نفسي شجوناً طاغيةً

وترامت كالسيول انفلتت من رابيئه

والتقت عارمةً جياشةً في هاوية

فعزيزي هو أصداء شجونٍ عاتية<sup>٢٢</sup>

يلتمس جماع في تعبيره عن الحزن بالمشهد الطبيعي المؤلف الخروج عن التقليد ومجارة روح العصر، خاصة أن كثيراً من الشعراء العرب في العصر الحديث تأثروا بالمذاهب الغربية في شعرهم مثل (شعراء الحركة الرومانسية من أمثال وردزورث في إنجلترا ولامارتين في فرنسا؛ إذ نجد الشعراء يُهرعون إلى الطبيعة وواقع حياتهم يصفونها منحرفين عن المدرسة الكلاسيكية التي عمت في القرنين السابع عشر والثامن عشر والتي كانت تتقيد بالأوضاع اليونانية واللاتينية، وقلما عدلت إلى شعر الطبيعة)<sup>٢٣</sup>

ومن عمق رمزية الطبيعة الحزينة في شعر جماع أنه جعل الحزن طبعاً من طباع البشرية، والعين ترى المشاهد الحزينة فتنبعث في صاحبها الإنسانية، كصورة الطائر الجريح وحوله الطيور تصيح وتنوح:

<sup>20</sup> لحظات باقية، ص 40

<sup>21</sup> - النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهات رواده، زغلول محمد سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

ص 127

<sup>22</sup> - لحظات باقية، ص 18

<sup>23</sup> - الفن ومذاهبه في الشعر الحديث، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، ص 208

وإذا ما سقط الطيرُ الجريح

وهو مخضوب على الأرض يصيح

يضرب الأرض بريشٍ ويصيحُ

حوله زغبٌ من الطيرِ تصيحُ

وتلمست بجنيبك الجروحُ

فبحقُّ أن إنسانٌ وروحٌ<sup>٢٤</sup>

من أبرز الصور الطبيعية التي اتخذها جماع رمزاً للحزن، هي الصور التي عبر بها عن حزنه على الموتى في شعر الرثاء، صورة الصحراء الموحشة في رثاء عجيب الحاج من أبطال السلطنة الزرقاء:

هنالك في الصحراء نام مجاهدٌ توسدَ من أحجارها ما توسدا

يمرُّ ركاب الريح حولك خاشعاً ويطربه الماضي فينسب منشدا<sup>٢٥</sup>

وهذه الرمزية تمثل الوحشة والانفراد الذي يكون فيه المرثي إلا من أصوات الرياح وغير ذلك من لوازم الصحراء. ويقول في رثاء أحد معارفه:

الكوكب الوضاء في آفاق وادينا أفل

وخبا الشهاب وكان وهاجاً فأسرع واشتعل<sup>٢٦</sup>

معبراً بمشهد أفول الكوكب وسقوط الشهاب عن الغياب الذي سببه الموت.

ثم يعبر عن الوحشة أيضاً بالرياح في رثاء الشاعر الهادي العمرابي:

قفي يا رياح لدى قبره إذا ما أجبث لداعي السفر

أجليه في رمسه واحملي إليه الندى وعبير الزهر<sup>٢٧</sup>

وأيامي تساقط من حياتي كأوراق ذوت والريح تدري

24 - لحظات باقية، ص 47

25 - لحظات باقية، ص 77

26 - لحظات باقية، ص 81

27 - لحظات باقية، ص 85

تظامن دوحها وهوى مُكَبِّاً وأجفل عنه تيارٌ بنهرٍ

وهدم مؤنيس الأعشاش فيه فلم تهزج له أنغام طيرٍ

ولست ترى حوالبه رواءً ولكن وحشةً وذبولَ زهرٍ<sup>٢٨</sup>

وفي لحظات حزينة أخرى يخالف جماع تقليد الأدياء والشعراء في النظر إلى الطبيعة،  
فينصرف عن جمال الزهر والماء بل يجعلها باعثاً للحزن في نفسه، ويجعل هذه المناظر الطبيعية  
الجاذبة رموزاً للحزن والأسى:

لحظات الحياة لحن يغنيه شعوري على خطى الأزمان

غير أنني لا أسمع اليوم إلا نغما في متاهة الأحزان

ونماء الورود عندي كالأزهار حول التابوت والأكفان

جف عن نفسي الندى وتلمست هشيماً من ذابلات الأماني<sup>٢٩</sup>

28 - لحظات باقية، ص 88

29 - لحظات باقية، ص 118

### الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن تأثير الطبيعة الحزينة في نفس الشاعر إدريس جماع كان أثراً قوياً، فقد عبر عن حزنه بكل ما كان يراه أمامه من مشاهد طبيعية، كالموج والجمال والزهر، وقد خالف كثيراً من تقاليد النظر إلى الطبيعة، مثل التمتع بجمال الورود والزهور وغناء الطيور، حيث جعل كل هذه المناظر مبعثاً للأسى والحزن في نفس الشاعر، ومن نتائج الدراسة أيضاً أن إدريس جماع شابه الرومانسيين في مذهبهم الذي يعبرون به عن الحزن برمزية المناظر الطبيعية بما يوافق أنفسهم الحزينة، وخلصت الدراسة أيضاً إلى أن تصوير الطبيعة الحزينة عند جماع كان موافقاً لما في نفسه وأنه قد أطلق العنان لخياله ليعمق الصورة والرمز.



### المراجع

- ١- الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥ م.
- ٢- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي صبح، دار إحياء الكتب العربية.
- ٣- الصورة في شعر إدريس جماع، (أنواعها، أدواتها، مصادرها)، محمد محجوب محمد عبد المجيد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد ٣، يناير ٢٠١١ م.
- ٤- الفن ومذاهبه في الشعر الحديث، شوقي ضيف، دار المعارف.
- ٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف.
- ٦- لحظات باقية، ديوان شعر جماع، دار الفكر، الخرطوم، ط٤، ١٩٨٩ م.
- ٧- مؤسسة جائزة سعود البابطين للإبداع الشعري، الدورة الثالثة، دورة البارودي، ١٢ - ١٤ ديسمبر ١٩٩٢ م، مقالات.
- ٨- النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي إدغار هايمن، ترجمة/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٥٨ م.
- ٩- النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهات رؤّاده، زغلول محمد سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- ١٠- النظرات، مصطفى لطفى المنفلوطي، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٨٢ م.